لطائف لغوية
دراسة تطبيقية في سورة التوبة

د. محمد الحسن مختار بلال *

د. أحمد عثمان فضيل حسن **

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن بعض اللطائف اللغوية في سورة التوبة, وذلك من خلال خمسة محاور رئيسة هي: المحور الصوتي، والمحور الدلالي، والمحور التركيبي، والمحور النحوي، والمحور البياني.

استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج المناسب للإيفاء بمتطلبات الدراسة، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان في هذه الدراسة إنّ بعض الظواهر النحوية لها أثر في تحديد دلالة الكلمات في النص القرآني،كما أن العلماء القدامى والمحدثين لم ينكروا الجانب الدلالي في هذه الأصوات المتجاورة في تحقيق بعض المعاني الدلالية، وقد أوصى الباحثان بعدد من التوصيات أهمها، ضرورة وضع الأسس والقواعد التي تضبط الاجتهاد في بيان اللطائف اللغوية في القرآن ، والإسهام في إعداد علماء وباحثين لدراسة المسائل العلمية، والحقائق الكونية ؛ في ضوء ما ثبت في القرآن والسنة.

* أستاذ مشارك بكلية الآداب – جامعة الإمام المهدي.

** أستاذ مشارك بكلية الآداب – جامعة الإمام المهدي.

Abstract

“Some Aspects of the Linguistic Miracles in the Holy Qura’n"

The study aims to reveal some of the features of linguistic miraculization in the Holy Qura’n in Tawba Chapter through four main areas which are: the structural, the semantic, the phonological and the grammatical aspects. The researchers used the descriptive analytical approach as the most suitable method to answer the questions in the study. The most important findings of the study were that some phonological phenomena have determining role on the semantic aspect of sounds, the words in sentences, and Qura’nic verses in this study. Moreover, the old and later scholars did not reject the semantic aspect of these adjacent sounds in the realization of particular semantic meanings. Accordingly, the researchers provide a number of recommendations the most important of which are: the necessity of establishing the criteria and rules that govern innovative interpretation of the scientific miraculization in the Qura’n and; the need for contributions to train scholars and researchers to study the scientific issues and the universal truths in accordance to what has been testified by the Qura’n and the Sunnah as well as encouraging universities to give support and opportunities in postgraduate registration and grants in the area of the scientific miracles within the Holy Qura’n and the Sunnah.

مقدمة:

الله، ومعجزته الخالدة، تحدى به الثقلين من الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله، فعجزوا وما استطاعوا وما استحقوا على عجزهم لوما ولا عتابا فأنى لهم أن يأتوا بكلام كالقرآن، كلام حف بالهيبة، وامتاز بالسمو، وتكامل فيه الشكل والمضمون وتآلفا، فكل منهما يخدم الآخر ويقويه، فكان ذلك إعجازا ما بعده إعجاز

من ذلك الإعجاز القرآني الدقة في اختيار المفردات، فكل كلمة تأتي في مكانها المناسب لها، فلو غير موضعها بتقديم أو تأخير أو جمع أو تثنية أو إفراد لتأثر المعنى ولم يؤد ما أريد منه، وكذلك لو جيء مكانه بكلمة أخرى ترادفه لم تقم بالمطلوب أبدا، فالقرآن الكريم مليء بالإشارات واللطائف الدقيقة التي يمكن بالتدبر الوصول لبعضها،وهذه بعض اللطائف في كتاب الله –عز وجل،بحثنا فيها على المستوى الصوتي أولا، ثمَّ المستوى الدلالي ثانيا، ثمَّ المستوى التركيبي ثالثا، ثمَّ المستوى النحوي رابعا، وأخيرا المستوى البياني. آملين من الله تعالى أن يوقفنا في خدمة كتابة الكريم.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا الموضوع من أن القرآن كان وما يزال وسيظل سببا رئيسا لانبهار العلماء لبيانه المعجز، ولغته العالية،وبيانه الساحر، وتأثيره العجيب على الناس، ونفي الشبه عنه التي أثارها الملحدون، لذا فهو جدير بالبحث والدراسة لاستخراج كنوزه التي لا تنفد، وأسراره التي لا تنتهي.

أهداف البحث:

1 . الوقوف على أهمية اللغة في حياة الإنسان، ولاسيما العربي في عصر نزول القرآن. وفي توجهاته وتفكيره وقوته وضعفه وخوفه وشجاعته وهمته وانتكاسه وغير ذلك مما يتعلق بالإنسان خليفة الله تعالى في الأرض.

2. بيان ما لهذه اللطائف من أهمية في واقعنا المعاصر، ويرى كثير من العلماء أن اللطائف اللغوية من جمال لغة القرآن ورونقه.

3. الوقوف على صور التلاؤم الصوتي الدلالي، والنحوي، والتركيبي، والنحوي، والبياني في القرآن الكريم في سورة التوبة، ومن المعلوم أن هذه الألوان مما ترتاح إليه النفس العالمة بأسرار الفن التعبيري، ومفاتيح الجمال، التي تشارك في رونق الأداء وطلاوته.

منهج البحث

اتبعنا في كتابة هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج المناسب للإيفاء بمتطلبات الدراسة.

أسباب اختيار البحث

1. الكشف عن الجمال التعبيري في القرآن، وأطايب الكلام، فالإعجازُ أمرٌ ملموس فيه، وسبحانَ الله الذي جعل في كتابه على تنوع طرق أدائه لمفرداته روعةً وحسناً وجمالاً ونكهة.

2. خدمة كتاب الله بهذا اللون المهم من الدراسة، لأن الحاجة ماسة، ومتجددة للكتابة حول لطائف التعبير القرآني، هذا الكتاب الذي لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه

3. الوقوف على فصاحة القرآن وبلاغته العالية والتي تمتلك القلوب وتشرح لها الصدور، وتسمو بها النفوس، فهي التي انبهر لها العلماء، وأقر بها العقلاء.

الدراسات السابقة:

هذا الموضوع ليس جديدا في مباحث علوم القرآن، فقد تناوله علماء كثر قديما وحديثا وما نطرقه ها هنا ما هو إلا جمعٌ لشتات ما تناثر في بطون الكتب.

من الدراسات التي اطلعنا عليها في هذا المجال: الإعجاز اللغوي في القرآن، أهميته وبعض من وجوه إعجازه، د. صديق أحمد مالك، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد الثالث والعشرون، محرم 1433هـ ديسمبر 2011م ، تناول الباحث في دراسته عدة جوانب منها:
تعريف الإعجاز وبيان بعض أنواعه، أهمية الإعجاز، من أوجه الإعجاز اللغوي في القرآن، والوجوه والنظائر والدلالات والإعجاز اللغوي، أسلوب عرض القرآن، وأخيرا نمازج من بلاغة القرآن.

أما هذه الدراسة فقد جاءت تكملة لما سبق، فهي تتناول المستوى الصوتي، والنحوي، والتركيبي، والدلالي.

بين يدي السورة:

هذه السورة من آخر ما نزل من القرآن كما ثبت عند البخاري في صحيحه في كتاب التفسير من حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه: (أن سورة براءة آخر ما نزل) وليس المقصود بأنها آخر ما نزل كآية وإنما كسورة مجمله هي آخر ما نزل.وإلا كآية قد عرجنا عليه في مسائل عدة: اختلاف العلماء منهم من قال: (وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ) وهو الأظهر .

ومنهم من قال إنها آية المائدة: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) .وقيل غير ذلك لكن هذين هما المشهوران [1].

الذي يعنينا أن سورة التوبة هي آخر ما نزل من القرآن وذلك في شهر رجب من سنة تسع من الهجرة خرج النبي صلى الله عليه وسلم بجيش العسرة إلى تبوك وقد سميت في القرآن بغزوة العسرة قال الله جل وعلا: (لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ).

وسماها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة: غزوة تبوك ولذلك الإمام البخاري رحمه الله لما تكلم عنها قال "باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة" حتى يجمع ما بين تسمية السنة وتسمية القرآن .

المقصود في عام تسع من الهجرة خرج صلى الله عليه وسلم في جيش العسرة إلى تبوك هذا الظرف الذي كان في جيش العسرة، كان فيه شح في المال وظهور في الثمار وحر في المناخ أصاب الناس فتن فانقلبت الناس، كانوا أقسام في إتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم. منهم المثبطون، المحبطون، الناصرون، البكاؤون , فرق شتى فنزلت هذه السورة تبين حال المجتمع المدني وقت أن دعا النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة واستنفر الناس إلى غزوة العسرة بينتهم بجلاء وكشفت الكثير من الأسرار كما سيأتي.

ثم بعد ذلك بعد عودته صلى الله عليه وسلم من تبوك لما عاد من تخوم البلغاء وأذعن له الروم عامة بمعنى أنه لم يحصل حرب لكن اطمأن

[1] الشيخ صالح بت عواد المغامسي: تأملات في سورة التوبة : ج1، انظر الرابط http://www.saaid.net/Doat/almgamce/57.htm تاريخ المشاهدة 27 / 2 / 2017 م

صلى الله عليه وسلم أن الروم لن تغزوه فرجع من تبوك لما لم يجد قتالا رجع إلى المدينة أراد صلى الله عليه وسلم أن يحج في العام التاسع ثم قال: (إن العرب تحج وهي عراة وأنا لا أريد أن أحج على هذا الوضع فأمر أبا بكر أن يخرج بالناس حاجا) .أمير على الحج لأن مكة كانت قد فتحت في العام الثامن ونحن نتحدث في العام التاسع فبعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الحج ثم بعد ذلك اتبعه بعلي بن أبي طالب ليظهر في الناس مقدمة سورة براءة فمقدمة سورة براءة الآيات الأول من سورة براءة الخمس الأول أو الست الأول من سورة براءة وإن كانت في مقدمة السورة إلا أنها من آخر ما نزل في نفس السورة لأن السورة تكلمت عن المنافقين وعن حالهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ما بين رجب إلى ذي الحجة ثم جاءت مقدمة السورة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يجعلوها في المقدمة فالقرآن ترتيبه الآن الذي نقرأه ليس على ترتيب نزوله فالفاتحة مثلا أول القرآن لكنها ليست أول سوره فالآيات الخمس من سورة العلق هي أول ما نزل، فترتيب القرآن ليس ترتيبا حسب النزول وإنما لحكمة توقيفية أرادها النبي صلى الله عليه وسلم بأمر ربه كان يملي الكتبة ويقول افعلوا كذا واتركوا كذا وضعوا الآية في مكان كذا والسورة بعد كذا. فترتيب القرآن ترتيب سور المصحف ترتيب توقيفي من النبي صلى الله عليه وسلم نفذه الصحابة.

الذي يعنينا هذا هو المناخ العام لفهم سورة التوبة إذا ينجم عن هذا أن سورة التوبة ذكرت مواضيع عدة لكنها يمكن أن يقال إن موضوعين رئيسيين تضمنتهما سورة التوبة:

الموضوع الأول: علاقة المسلمين بالمشركين وأهل الكتاب:

الموضوع الثاني: كشف أسرار المنافقين وحال الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وفي جيش العسرة على وجه الخصوص.

هذان الموضوعان الرئيسان اللذان تعرضت لهما سورة التوبة قال الله جل وعلا: (بَرَاءةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ...) إلى آخر الآيات إلى أن قال الله (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ) الآية السادسة هي التي سنتكلم عنها فيما سيأتي.

أول ما يلفت النظر في هذه السورة أنها ليست مصدره بالآية الشهيرة }بسم الله الرّحمن الرَّحيم.ولذلك اختلف العلماء لماذا لم تصدر سورة براءة ببسم الله الرّحمن الرَّحيم على أقوال عده أشهر هذه الأقوال ثلاث وسنبدأ بالأضعف ثم الأقوى ثم ما نره راجحا على عادتنا في التقسيم:[1]

أما الأضعف فقد قيل إن من أسباب عدم ذكر}بسم الله الرّحمن الرَّحيم} في أول سورة براءة أنها جرت عادة العرب أنه إذا كانت ما بين قوم وقوم عهد فأراد أحدهم أن ينقضه كتبوا إليهم كتابا غير مصدر بالبسملة وأرادوا أن ينقضوه كتبوا إليهم كتابا غير مصدر بالبسملة وهؤلاء يعنون بكلمة (بسم الله الرحمن الرحيم) (باسمك اللهم) هذا قول ذكره العلماء وهو أضعف الأقوال.

[1] نفس المصدر

القول الثاني ما رواه الحاكم في المستدرك وأحمد في المسند من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن ابن عباس سأل عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه وأرضاه قال له: (لما جعلتم سورة الأنفال وهي من المثاني وبعدها سورة التوبة وهي من المئين ولم تجعلوا بينهما (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال عثمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه لابن عباس قال له إن النبي صلى الله عليه وسلم كانت إذا نزلت عليه السورة أو الآية يقول ضعوها في مكان كذا في سورة كذا بعد كذا وكذا وإن سورة الأنفال من أول ما نزل بالمدينة وإن سورة التوبة من آخر ما نزل فمات النبي صلى الله عليه وسلم دون أن يبين لنا هل هما سورة واحده أم لا فاختلف الصحابة فمنهم من قال إنهما سورة واحده ومنهم قال إنهما سورتان فلم يفصلوا بينهما وجعلوا بينهما فرجه حتى يعرف أنهما سورتان منفصلتان ولم يكتب بينهما (بسم الله الرحمن الرحيم ((حتى يبقى قول من قال إنهما سورة واحده. يعني أن الصحابة تراضوا على هذا القول أنهم جعلوا بينهما فرجه حتى يرضوا من قال أنهما سورتان ولم يكتبوا }بسم الله الرّحمن الرَّحيم بينهما حتى يرضوا من قال: أنهما سورة واحده.هذا القول اختاره العلامة الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان وقال كعادته نصا:"قال مقيده عفا الله عنه وهو أظهر الأقوال عندي"عند الشنقيطي رحمه الله هذا بناء على صحة الحديث والحديث رواه الحاكم كما قلت وقال صحيح على شرطيهما ولم يخرجاه على شرطيهما البخاري ومسلم ولم يخرجاه معناها لم يذكراها في الصحيحين هذا على صحة الحديث وقلت رواه أحمد في المسند رواه البيهقي في السنن لكن قال الألباني رحمه الله:"إن الحديث ضعيف"وأغرب منه قال العلامة أحمد محمد شاكر محقق كتاب المسند قال:"إن الحديث موضوع لا أصل له"وهذا صعب أن

يقال لكني لم أطلع إلى الآن على نص كلامه لكن كلامه مثبت في مكان آخر. والحق أن المتن يؤيد قول أحمد محمد شاكر رحمه الله لأن الحديث فيه إن النبي صلى الله عليه وسلم مات ولم يبين لنا هل هما سورة أو سورتان هذا صعب أن يقال. فمتن الحديث يساعد على قول العلامة أحمد محمد شاكر أن الحديث لا أصل له وقلت إن الألباني رحمه الله يقول إن الحديث ضعيف أما من رأى صحة الحديث من العلماء الترمذي حسنه أخذ به وذهب إلى أنه ما دام حسنه فهو صحيح عنده والأثر مقدم على العقل مقدم الأثر على الرأي عند كثيرين فلذلك اختار الشنقيطي رحمه الله القول بأن أظهر الأقوال هو هذا القول المحكي عن عثمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه

القول الثالث: مروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعن سفيان بن عينيه المحدث المشهور وهذا القول هو الذي عليه أكثر العلماء وهو الذي نراه ونرجحه ونختاره والله أعلم، وهو أن سورة براءة نزلت بالسيف و}بسم الله الرّحمن الرَّحيم} فيها أمان ورحمه والأمان والرحمة لا يتفق مع السيف وسورة براءة نزلت بالسيف والبراءة من أهل الإشراك وقوة الحجة على المنافقين. هذا مجمل الأقوال الثلاثة التي ذكرها العلماء رحمهم الله في قضية لماذا لم تصدر سورة براءة بقول الرب جل وعلا:} بسم الله الرّحمن الرَّحيم} وخلاف العلماء في بقية الأقوال يجب أن لا ينظر فيها لأنها بعيده جدا فيما نحسبه عن الصواب والله تعالى أعلم.[1]

تعريف اللطيفة:

[1] نفس المصدر

قال الجرجاني[1]: اللطائف: جمع لطيفة وهي: كل إشارة دقيقة المعنى، تلوح للفهم، لا تسعها العبارة.

المحور الأول: المستوى الصوتي:

نزل القرآن الكريم باللغة العربية واللغة في جوهرها عبارة عن أصوات أو مقاطع صوتية فهي المادة الأساس المكون للغة، فاللغة كما يرى ابن جني عبارة عن أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فتبدأ تأليف نظم الكلام من هذه الوحدات الصغرى (الصوت) وتسمى بالعناصر الصوتية الرئيسية والتي يرمز لها بالحروف الألفبائية: أ، ب، ت، ويشكل منها مجموع حروف الكلمة التي ترمز إلى معنى معجمي [2.]وهذه الكلمات تشكل بدورها بناء الجمل والتراكيب التي يكون لكل منها معنى مفيد ومستقل بنيويا [3]

والذي نعتقده أن القرآن حين يراعي الفاصلة ويبقى على تنغيمها إنما يحفظ وسيلة من أقوى وسائله في التأثير لأن رنين الكلمات وجرسها وتوافق إيقاعاتها لغة تتغلغل في النفس والضمير وتسمو بالروح إلى آفاق قدسية فتأخذها نشوة يحسها من يرتل هذه الآيات ترتيلا يتهدج فيه صوته ويتماوج مع ألحانها ثم ينتهي إلى هذه الفواصل فيجد عندها القرار، وهذه اللغة التي نزل بها القرآن لغة دندنة وترنم أحس أسلافنا هذه الفضيلة فيها، وقالوا: أنهم إذا فرغوا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينون وما لا ينون لأنهم أرادوا

---

[1] الجرجاني، كتاب التعريفات، ص 246

[2] محمد عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، ط 2005، ص 17

[3] دفه بلقاسم، الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم،بحث منشور بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة عام 2009

مد الصوت.. ومد الصوت الذي يلحقون من أجله الألف في الفتح والياء في الكسر والواو في الضم، وسيلة من وسائل تهدئة النفس حين تمتلئ إحساساً بالفكرة أو تختلج بألوان من الشعور وكأنهم اتخذوا من كلمات هذه اللغة أوتاراً فكانت أشجى لحناً وأعذب نغماً [1]

فسنقدم في هذه الدراسة المتواضعة من النماذج التطبيقية ما يؤيد هذا الطرح، وأظهر ما تؤديه الخصائص الصوتية في إبراز الدلالة في مباحث الإبدال والإدغام وفكه، والحذف والزيادة،.

فإذا تأملنا قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ} [2]فالعدول الصوتي تم في (اثَّاقَلْتُمْ) التي أصلها (تثاقلتم)، ولم ترد إلا في هذا الوضع من القرآن، وقد دلت ببنيتها الصوتية وبنبرتها ونغمتها على التثاقل التي الذي يبدو على المتخاذلين اللذين لا يسارعون عند دعوتهم للجهاد.

من الظواهر التي وظفها القرآن ظاهرة الإدغام ويؤتى بالإدغام في سياق لغوي معين لغرض دلالي جمالي، فالقرآن لا يتخذ اللغة النموذجية مقياسا دوما، بل قد يجنح إلى بعض لغات العرب على قلتها من ذلك الإدغام فيقوله تعالى:{أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ}[3]وهي لغة تميم، وقرأ طلحة بن مصرف ومحمد بن السميقع (ومن يحادّ الله ورسوله) بإظهار التضعيف في الحاء وهي لغة أهل الحجاز وقراءة جمهور القراء، ويلحظ من القراءتين لما ذكر لفظ الجلالة وحد

([1]) محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص، 359

[2] سورة التوبة الآية 38

[3] سورة التوبة، الآية 63

كان الإدغام ولما ذكر الرسول صلى اله عليه وسلم معه أظهر الصوتان، ذلك ليعلم القارئ أن من يحادّ الله فإنه سيعاقبه عقابا شديدا[1]وقوله تعالى {لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [2]جاء العدول الصوتي بإدغام المثلين لتدل على كثرة سماعهم الناقلين للأخبار دون تثبت.

قال تعالى: {يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ} [3]

من منطلق أن حذف بعض الأصوات في أواخر الكلم يؤدي إلى نوع من التخفيف على الجهاز النطقي والاقتصاد في بذل المجهود العضلي عند المتكلم [4] فقد أدي حذف النون الساكنة في (يكن) إلى التخلص من المقطع المغلق (كن) لتختم بالمقطع القصير المفتوح (كُ) الذي ينفتح مجرى الهواء أثناء النطق به لاختتامه بالضمة القصيرة إذ ينتج أي (المقطع القصير) بمجهود أقل ومدة زمنية أقصر وأيسر من المقطع المغلق وتنبعث من طبيعته دلالة الانشراح والخفة والسرعة، فيوحي بما له سمة السرعة والخفة بسرعة وصول التائب إلى الخيرات، ومما يعزز ويعمق هذا المعنى وجود ظاهرة

---

[1]دفه بلقاسم: الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم: بحث منشور بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ،ص، 29

[2] سورة التوبة الآية 47

[3] سورة التوبة، الآية 74

[4]أحمد طه حسنين، قراءة يحي وثَّاب في ضوء علم التشكيل الصوتي، ص 130 ـ 131

الإدغام في يتوبوا، خير لهم، لتقرأ إيتوبوا... خيرلَّهم بذا فإن الإدغام - الذي هو عبارة عن إدخال صوت في صوت آخر [1] يوحي بسرعة إلى الخيرات والالتصاق بها، فالإدغام يقرب المسافة ويوحد الأصوات مثلما تقرّب التوبة التائب من الخير وتلصقه به، وهذه الدلالات ما كان ليستشف في حال إثبات النون ووجود المقطع (المغلق) وذلك أن المقطع المغلق يومئ إلى الإقفال والانفلاق، الضيق، الوقف، الانقباض، الرفض، المنع، السكون... إثر انغلاق مجرى الهواء ووجود الصامت الساكن، ومنعه الهواء الصادر من الخروج، وعليه فإن التخلص من المقطع المغلق يوحي بمعونة السياق، وقرائن الأحوال أنَّ توبة التائب لا تقبل بالرفض والصد، فأبواب الجنة لا تغلق بوجه التائب المقبل على الخيرات، ثم يوحي إلغاء المقطع المغلق ؛ أن التوبة تقضي على الضيق و الانقباض النفسي، ومما يعزز هذه الدلالة أنه يواكب حذف النون الساكنة حذف اسمها (المتاب) مما يسهم في اختزال العبارة وسرعة النطق بها تواؤما مع السرعة المطلوبة لتلبية نداء التوبة [2]

قال تعالى: {لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [3] أصل يبغونكم، يبغون لكم حذف حرف الجر (اللام) يؤدي إلى تقريب المسافة وإلصاق الفعل بضمير جماعة المخاطبين (كم) مما يسئ برغبتهم في إلحاق وطلب الفتنة

[1] غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية،: ص 224، انظر في أصوات العربية، مجدي إبراهيم، ص : 101

[2] كوليزار كاكل عزيز، وفخرية غريب قادر، الدلالة التركيبية في سورة التوبة، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 17، العدد 9 عام 2010م ص 57

[3] سورة التوبة، الآية 47

للمسلمين على وجه السرعة، ولتظهر أن المنافقين لا يتوانون ولا يتريثون في إلحاق الفتن بالمسلمين [1]

قال تعالى: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[2] اختزلت بنية لفظ (هائر) بحذف الهمزة المكسورة لتتحول إلى (هار) مما يؤدي إلى سرعة النطق بالكلمة الدالة على السقوط والانهمار والانهيار مما يشئ بسرعة السقوط وفوريته [3]

قال تعالى: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [4] وردت (التائبون العابدون) أوصافا للمؤمنين في (إنَّ الله اشترى) ولكن قطعت عن الوصيفة إلى الخبرية، ويسمى هذا الإجراء نعتا مقطوعا ([5]) ويؤدي قطع الصفة: التائبون العابدون... عن موصوفها (المؤمنين) إلى إحداث اختزال في بنيتها السطحية وتقدير مبتدأ محذوف تقديره، هم التائبون... يغني السياق عن ذكره مما ينجم عنه الانتقال من حالة النصب وحركتها الياء والنون إلى حالة الرفع (علم الإسناد وحركتها الواو

---

[1] كوليزار كاكل عزيز، وفخرية غريب قادر، الدلالة التركيبية في سورة التوبة، ص 58

[2] سورة التوبة، الآية 109

[3] علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج11، ص 127، انظر إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش: ج11 ص 275

[4] سورة التوبة، الآية 112

[5] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10 ص: 211، وإعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، ج11 ص : 281

والنون، فإذا كانت الكسرة الطويلة (الياء) في المؤمنين تظهر المؤمنين واتزانهم واعتدالهم وبعدهم عن الإفراط والتفريط وذلك لوقع الكسرة وسطا في المدرج الصوتي بين خفة الفتحة وثقل الضمة، فإنَّ الضمة برزانتها تظهر ثقل ورزانة شخصية التائبين وقوة عزيمتهم، ثم أن الضمة الطويلة مصوت رزين عال مدور وهي أسرع من الكسرة الطويلة (الياء) نطقا وأقصر منها مدى [1] يعبر بذلك عن سرعة انتقالهم وتدرجهم في السلم الإيماني الصاعد وترقيهم من صفة إلى صفة إيمانية جديدة، ثم أنَّ تدوير الشفتين وبروزهما إلى الأمام في أثناء النطق بالضمة الطويلة يحاكي حال الموصوفين وحركتهم التقدمية والتواصلية إلى الأمام، لذلك فإن هذا الإجراء الأسلوبي، والاختزال التركيبي أسهم في إبراز جمالية المنظومة الصوتية للآية الكريمة [2]

المحور الثاني: المستوى الدلالي

يمثل علم الدلالة واحدا من مستويات دراسة اللغة (المستوى الدلالي)، لأنه يهتم بدراسة المعنى الذي تخلص إليه المستويات الأخرى. وبذلك فهو يهتم بدراسة معاني الكلمات، بعدّها علامات لغوية، وهو إذن فرع من علم السيمولوجيا (علم العلامات).وعلم الدلالة علم حديث يهتم بدراسة كل ما يسهم في المعنى، وموضوعه مشكلة من المشكلات اللسانية القديمة... والدلالة تقوم على جانب مادي (الدال)، وجانب ذهني (المدلول)، وهما مجتمعان وغير منفصلين كوجهي الورقة الواحدة. وعلى ضوء هذا المفهوم سنتناول مفردات قرآنية مترادفة ولكن الأسلوب القرآني الدقيق فرّق بينهما،

[1] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص : 20

[2] كوليزار كاكل عزيز، وفخرية غريب قادر، الدلالة التركيبية في سورة التوبة، ص 59

واقرأ هذه الآيات، وتأملها، فستجد أن كلا منها يبث المعنى في خيالك عن طريق جرس الكلمات وتناسقها قبل أن ينقل إلى ذهنك هذا المعنى عن طريق الدلالة اللغوية، ألا ترى إلى المعنى الذي يصوره قوله عز وجل {لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ}[1]، قد يحسب صاحب النظرة العجلى أن هذه الكلمات الثلاث: ملجأ، مغارات، مدخل، مترادفة المعنى، ولكنها في الحقيقة ليست كذلك بل كل منها يصور في الذهن شكلا معينا للملاذ الذي يبحث عنه المنهزم والخائف بدءا من الشكل الطبيعي المألوف، وهو الملجأ المعتاد من دار، أو غرفة، أو جماعة من الناس إلى الشكل الذي لا يألفه ويرتضيه إلا من اشتد خوفه، وهو المغارة في باطن الأرض أو بطن جبل، إلى الشكل الذي هو أبعد في القول والإلف في كليهما وهو المدخل، أي المكان الضيق الذي لا يستطيع هذا الخائف أن يقتحمه إلا بجهد، ولا يكاد يستقر فيه إلا تضاؤلا والتصاقا، انظر كيف تؤدي كلمة مدخلا هذه الصورة وتجسدها في الحس بوزنها وجرسها وشدة الدال فيها [2] وكذلك شأن أكثر كلمات القرآن، ما من واحدة منها إلا وتستعمل لطائفه من المعاني المتغايرة وإنما القاسم المشترك بينها علاقات سطحية تصل ما بينها، فأنت لا تملك من اللغة إلا ما يعبر عن هذه المعاني السطحية القريبة،

[1] سورة التوبة: الآية 57

[2] محمد سعيد رمضان البوطي، مجلة وزارة الثقافة والإعلام، دولة الإمارات العربية المتحدة، الإدارة الثقافية، 1400 . 1401، 1980 . 1981، ص 288 -289.

بحيث إذا أردت الغوص إلى دقائق المعاني المتشعبة تخلفت عنك طاقة التعبير وبقيت مع مشاعرك الصامتة [1]

استعمال (من) مع الجنات في القرآن كله (جنات تجري من تحتها الأنهار) [2]إلا في آية سورة التوبة جاءت جنات بدون (من)قال تعالى في سورة التوبة (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَار وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ومعنى (جنات تجري تحتها الأنهار)[3]دلالة على أن بداية الجريان ليس من تحتها وهي منزلة أقل لأن هذه الآية جاءت في ذكر السابقون الأولون ولم يُذكر معهم الأنبياء أبداً، وقد جاءت على هذه الصيغة في آية واحدة فقط في القرآن كله وهي هذه الآية في سورة التوبة. أما في باقي الآيات التي وردت فيها (جنات تجري من تحتها الأنهار) فالمؤمنون ذُكروا مع الأنبياء وهي دلالة على أن بداية الجريان من تحت هذه الجنات وهذه منزلة أكبر لأن بين أهل هذه الجنات أنبياء الله تعالى وهم الأعلى منزلة

حذف (لا) (وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ) وذكرها (فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ) في لو نظرنا في الآيتين في هذه نجد أنّ هناك تشابها واختلافا ففي الأولى ذكرت (لا (وزادت اللام في (ليعذّبهم) وذكر كلمة الحياة الدنيا في الآية الأولى وذكر الدنيا في الثانية (فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ

---

[1]الإمام السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج1 تحقيق: محمد أحمد جاد المولى – محمد أبو الفضل – علي البجاوي. دار النشر: مكتبة دار التراثط3. ص 316

[2]سورة الرعد الآية 35

[3] سورة التوبة الآية100

اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ {55}) و(وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ {85} [1]ونستعرض بالتفصيل الفرق بين الآيتين:

بدأ الآية الأولى بالفاء والثانية بالواو. لأن الآية الثانية معطوفة على ما قبلها فسياق الآيات السابقة يقتضي العطف أما الآية الأولى فالفاء للاستئناف وليس هناك عطف (قد تأتي الفاء للاستئناف أو التفريع

(تعجبك أموالهم ولا أولادهم) في سياق الإنفاق أي إنفاق الأموال. (قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً) (وما منعهم أن تُقبل لهم) (ولا ينفقون إلا وهم كارهون) (فلا تعجبك أموالهم) (إنما الصدقات) فالكلام كله إذن في الإنفاق في الآيات التي قبلها وبعدها. أما الآية الثانية فسياق الآيات قبلها وبعدها في الجهاد وليس الإنفاق. فلمّا كان السياق في الأموال أضاف (لا) وفصل الأولاد والأموال للتوكيد [2]

(ليعذّبهم) زيادة اللام في الآية الأولى وهي زيادة التوكيد لأن السياق في الأموال والإنفاق وكما أكّد بـ(لا) أكدّ باللام بمعنى (إنما يريد الله أن يعذبهم). فزيادة اللام قياسية للتوكيد (تؤكد معنى الإرادة) واللام تزاد قياساً وتُزاد سمعاً في المفعول به كما في قوله (والذين هم لربهم يرغبون) واللام زائدة في فعل الإرادة أن (أراد) فعل يتعدّى بنفسه فيؤتى باللام الزائدة للتوكيد، أو اللام للتعليل وهي على أي قول فهي للتوكيد (علّل الإرادة في الآية الأولى

---

[1] سورة التوبة الآية

[2] جهاد حلس. الأسئلة والأجوبة المفيدة (1) في لطائف بعض الآيات القرآنية تاريخ الاطلاع 18 نوفمبر 2016 م متاح على http://www.saaid.net/Doat/jhelles/38.htm

أو أكدّ الإرادة في الآية الأولى). فلمّا كانوا متعلقين بالمال تعلّقاً شديداً أكّد باللام (ليعذبهم فيها) فكان التعذيب أشدّ.

ذكر (الحياة الدنيا) في الآية الأولى و(الدنيا) في الآية الثانية: الآية الأولى في سياق الأموال والأموال عند الناس هي مبعث الرفاهية والحياة والسعادة والمال هو عصب الحياة، أما الآية الثانية فهي في الجهاد مظنّة مفارقة الحياة في القتال فاقتضى السياق ذكر (الحياة) في الآية الأولى وحذفها في الآية الثانية [1]

موطن الشاهد: {وخضتم كَالَّذِي خَاضُوا} وجه الاستشهاد: مجيء "الذي" موصولا حرفيا على ما حكاه الفارسي عن يونس بن حبيب، وهو على هذا يؤوَّل مع ما بعده بمصدر مجرور بـ"الكاف، والتقدير: كالخوص، ودليل يونس ومن معه على هذا، هو كون"الذي"مفردا، وما بعده جمعا، فلو كان موصولا اسميا، لقيل، كالذي خاض، أو لقيل: كالذين خاضوا.وأجيب عن ذلك، بأن"الذي"اسم موصول صفة لموصوف محذوف، والتقدير: خضتم خوضا كالخوص الذي خاضوا، وحذف العائد، الضمير المنصوب بـ "خاضوا"؛ لأن التقدير :خاضوه، أو أن"الذي"اسم موصول للجمع، وأصله"الذين"لحذفت النون، كما حذفت في قول الأشهب بن رميلة:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم ***هم القوم كل القوم يا أم خالد

(1) جهاد حلس. الأسئلة والأجوبة المفيدة (1) في لطائف بعض الآيات القرآنية تاريخ الاطلاع 18 نوفمبر 2016 م متاح على http://www.saaid.net/Doat/jhelles/38.htm

فأراد الذين حانت، فحذف النون [1].

قال الله تعالى {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِين} [2]

ثانيًا : قوله تعالى :عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا[3]

ثالثًا :قوله تعالى :{سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدً[4]

وهذه الأمثلة دلالة على أنَّ العطف يأتي بعد السابع؛ لأن العقد عند العرب سبعة"، هذه تسمى واو الثمانية

المحور الثالث: المستوي التركيبي

لكلّ لغة من اللغات الإنسانية أنظمة تركيبية لها خاصية التعدد والترابط والتداخل يضبطها النحو [5] يحورها ويحركها باتجاه دلالات متعددة، والتراكيب اللغوية متعددة الأنماط ولكل نمط تركيبي تصميمه وصياغته

([1]) عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف أبو محمد جمال الدين بن هشام، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي

أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك. ـ ج 4، (د. م): دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 144

[2] سورة التوبة، الآية 112

[3] سورة التحريم: الآية 5

[4] سورة الكهف: الآية 22

[5] كوليزار كاكل عزيز، وفخرية غريب قادر، الدلالة التركيبية في سورة التوبة ص 34

وإطاره الدلالي الخاص، تكتسب دلالته من السياق والموقف الكلامي التي تجرى فيه هذه التراكيب التي تتآذر قرائنها النحوية وتتعاضد ونظرا لتقيد صحة التراكيب بصحة الجانب الدلالي وانعقادها عليها، يلحظ أن التكامل بين النحو والدلالة مطلب لساني يقتضيه منطق اللغة وسننها، فرصد البنية التركيبية وتشكيلتها داخل السياق يسهم في إبراز طاقاتها الإيحائية ويتيح للمخاطب فرصة استكناه مضامينها وأبعادها الفنية والجمالية.

فالدلالة التركيبية هي الدلالة المتعلقة ببنية الجملة، وتغدو القرائن النحوية هي الوسائل الكاشفة للمعنى التركيبي، أي تنتج عن طريق النظم (الضم والتعليق) ضم وحدات التركيب بعضها إلى بعض وتسييقها [1]

تلقي الدراسة الضوء على أشهر الأنماط التركيبية في السورة وما تفرزه من دلالات وظلال موحية منها:

قال تعالى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ *كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ} [2]

أ –وردت"كَيْفَ"في المرة الأولى؛ للإشارة إلى أن المشركين لا ينبغي أن يكون لهم عهد، وهم حربٌ على الإسلام والمسلمين، ومع ذلك يُستَقَام لهم على العهد ما استقاموا هم؛ لأنه ليس من خُلُق المسلمين أن يغدروا أو ينكثوا، والبراءة التي وردت في الآية السابقة أُعلِنَت لهم، وتم إمهالهم؛ ليجدوا الوقت

[1] كوليزار كاكل عزيز، وفخرية غريب قادر، الدلالة التركيبية في سورة التوبة، ص 34

[2] سورة التوبة: الآية 7ـ 8

الذي يكفيهم لمراجعة مواقفهم، وتكررت"كَيْفَ"لتشير في المرة الثانية إلى أن خُلُق الكافرين لا يسمح لهم بالوفاء بالعهد، ولا بالثبات عليه، بل إنهم يتحينون من المسلمين غفلة ليبيدوهم.

ب –وقد حُذف الفعل بعد"كَيْفَ"في المرة الثانية لدلالة الفعل المذكور في المرة الأولى عليه.

ج –{لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاً وَلَا ذِمَّةً} تكررت بكلماتها في قوله سبحانه {لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاً وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ}[1] والإلُّ يعني: القرابة، والذِّمَّة تعني: العهد، ومَرَدُّ التكرار إلى التأكيد على أن عدم رعاية الإلِّ والذمة هو خصلة الكافر وطبيعته، أو أن المرة الأولى كانت للإشارة إلى أن الكافر لا يرعاهما في مجموع المسلمين، وفي المرة الثانية إلى عدم رعايته إياهما في المؤمن الواحد، أو لأن المرة الأولى وردت صفة لطائفة أشارت الآية إلى أن {أَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ} وفي المرة الثانية لطائفة وصفهم بأنهم {هُمُ الْمُعْتَدُونَ} وقد ذكر النحاس أن المرة الأولى كانت في المشركين، والثانية كانت في اليهود [2]

ح –ولا ينتج عن اختلاف طوائفهم اختلاف طبائعهم؛ فالطبيعة الغادرة فيهم هي هي، كيفما كانوا.

{أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [3]

---

[1] سورة التوبة: الآية 10

[2] أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل *النحاس* النهضة، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد الناشر: – مكتبة عالم الكتب، ص 360

[3] سورة التوبة: الآية 13

قوله سبحانه {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} شرطٌ مجازي؛ أي: غير خاضع في دلالته ومعناه لأسلوب الشرط النحوي الذي يتوقف فيه تحقيق الفعل الثاني على إنجاز الأول؛ كقولك مثلاً: إن تدْرُس تنجَحْ، فالنجاح يتوقف حصوله على القيام بالفعل الأول الذي هو"تَدْرُس"، ويُفهَم من هذا الأسلوب عكسُه غيرُ المنطوق به؛ أي: لا تنجحُ إن لم تدرُسْ، ولا يستقيم هذا المعنى مع البناء الشرطي في آيات كثيرة في القرآن الكريم، ومنها هذه الآية الشريفة؛ إذ ليس المراد اخَشَوُا اللهَ إن كنتم مؤمنين، وإن لم تكونوا مؤمنين فلا تخْشَوْه. فالتركيب هنا شرطي، ولكنه شرط مجازي، وليس نحويًّا، ويحمل معنى الموافقة والإقرار؛ أي حيث إنكم مؤمنون فإن الله تعالى أحق أن تخشوه.

5قال تعالى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ *وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[1]

والفعل :{يُعَذِّبْهُمُ} مجزوم لأنه جواب طلب، والأفعال الأخرى: {وَيُخْزِهِمْ} {وَيَنْصُرْكُمْ} {وَيَشْفِ}، {وَيُذْهِبْ"كلها مجزومة بالعطف على جواب الطلب، غير أن الفعل {وَيَتُوبُ} لم يُجْرَ مجرى تلك الأفعال، فلم يقل: وَيُتَبْ، بل جاء مرفوعًا على الاستئناف، وذكر الزمخشري أنَّ جَعْلَ {يَتُوبُ} ابتداءَ كلام، فيه إخبارٌ بأنَّ"بعض أهل مكة يتوب عن كفره...، فقد أسلم ناس منهم، وحسن إسلامهم"؛) [2]وقوله تعالى :{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} يتماشى مع هذا الاستدلال، ولو جَزَمَ"يتوب"لَتَعَلَّقَتْ توبة الله بالقتال، فلو لم يكن هناك قتال،

[1] التوبة: 14- 15

[2] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف :دار الكتاب العربي – بيروت: لبنان:، ج1: ص 244

لَمَا كانت هناك توبة، ولكانت التوبة نتيجةً لمقاتلة المسلمين لهم، لا لأنهم أسلموا، ولِعِلْمِ الله السابق بأن بين المقاتَلِينَ الكافرين مَن سيتوب الله عليه، ويدخلُ الإسلامَ فيما بعدُ، اختُتِمَت الآية الكريمة بالعلم والحكمة {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

قال تعالى: {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا}، ولا أحسب أن الضميرين في"{عَلَيْهِ}، {وَأَيَّدَهُ} يعودان إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإنْ ذَكَرَ ذلك بعض العلماء[1]لأن ذلك يعني أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن ساكنًا، ومع ذلك كان يُطَمْئِنُ صاحبه، ولا يتناسب هذا في هذا المقام، بل الأَدْعى إلى القبول أن يكون الضمير في {عَلَيْهِ} مشيرًا إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقد كان هو المفتقر إلى السكينة، وأن يكون الضمير في {أَيَّدَهُ} عائدًا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يقل الباري عز وجل : {وأيدهما}؛ لأن تأييد النبي حاملِ الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم هو الأصلُ، فإذا تحقق بُنيَ عليه تأييدُ أتباعه .{وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا} ؛ أي: صيَّر أمرهم إلى أسُفْل، ووردت كلمة {جَعَلَ} لذلك، فقد كان أمْرُهم على حالٍ، وآلَ إلى سواها، وأما كلمة الله تعالى، فإنها غير منتقلة من حال إلى حال، بل هي العليا على وجه الدوام مذ كانت، ولهذا فإن الواو في"وَكَلِمَةُ اللَّهِ"غير عاطفة، وإنما استئنافية، و"كَلِمَةُ"مرفوعة على الابتداء.

[1]إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1: تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، 1999 – 1420: ص 310

قال تعالى: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} [1]

{لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} جملة مستقلة، وتعقيبٌ على ما قال المخلَّفون، وعلى ما أُمِر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقوله لهم، ويمكن أن يُفهَم منه أيضًا أنه تحويل للكلام من المخاطب إلى الغائب بسبب اشتماله على عدم الفقه. ولو قال"لو كنتم تفقهون"أي: لا تفقهون أو لا تعلمون، ربما ظن الذين في قلوبهم مرض أن الخطاب موجَّهٌ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذا المعنى السلبي، فكان في تحويل الخطاب إلى الغيبة إخراجٌ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من صفة عدم العلم.

قال تعالى: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[2] وهذا خبر في صيغة أمر، وقال النحاس: إنه أمر فيه معنى التهديد) ([3]) والمعنى أنهم يضحكون قليلاً ويبكون كثيرًا، وفي الضحك القليل كناية عن التمتع بالحياة الدنيا تمتعًا محدودًا؛ لأنهم يموتون مهما عاشوا، وفي البكاء الكثير كناية عن سوء المآل في الآخرة التي لا نهاية لها

المحور الرابع: المستوى النحوي.

المسألة الأولى في رفع: (رسوله) ووظيفة الواو فيها في قوله تعالى: {وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسولُه} هنا تحتمل احتمالين الاحتمال الأول :أن تكون عاطفة

[1] سورة التوبة: الآية 81

[2] سورة التوبة : الآية 82

[3] إعراب القرآن : ص 378

والاحتمال الذي عليه القراءة اليوم :وهي أن تكون استئنافيةفإن كانت عاطفة فلها كم احتمال من حيث التصور؟ احتمالانالاحتمال الأول : والاعتقاد به كفر أن يقرأها القارئ {وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسولِه} فتعطف الرسول على المشركين فيصبح معنى الآية في غير القرآن أن الله متبرئ من المشركين ومتبرئ من رسوله وقد قرأها أعرابي بهذه الصورة سمع رجلا يلحن ما يعرف قواعد اللغة وعنده أعرابي والأعرابي قليل الفقه فالرجل العامي يقرأ:{أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسولِه}فقال الأعرابي :برئت من رسول الله برئت ممن برئ الله منه هذا من أحد أسباب قيام علم النحو فإن أبا الأسود الدولي يقولون: إنه لما سمع هذا الأعرابي ذهب إلى علي رضي اله عنه وأخبره الخبر فقال له:"انحُ للناس نحوا"فصنع علم النحو طبعا هذه لا يقولها مسلم إلا جهلا ولا تجد مسلما يعتقدها أو يقولها هذا الاحتمال الأول من حيث النحو لكنه لا يمكن أن يقع شرعا.

الأمر الثاني :أن تكون رسوله معطوفة على لفظ الجلالة فتؤتى بالنصب فيصبح المعنى {أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولَه} فتصبح معطوفة على لفظ الجلالة والمعنى هنا يستقيم وبه قراءة .

الحالة الثالثة: أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ}وتقف وتأتي الواو استئنافية كلام جديد والمعنى: ورسوله كذلك بريء من المشركين. وهنا الواو تسمى واو استئنافية وحق الاسم هنا أن يرفع لأن ما بعد واو الإستئنافيه يعرب مبتدأ[1]

[1] الشيخ صالح بن عواد المغامسي. تأملات في سورة التوبة
تاريخ الاطلاع 18 نوفمبر 2016 م. متاح على:
http://www.saaid.net/Doat/almgamce/57.htm

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[1] قال الله تعالى {يُنفِقُونَهَا} بتوحيد الضمير في آخرهاوهو عائد على المثنى في قوله: {الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ} فكان ظاهر الكلام يقتضي أن يقال: {يُنفِقُونَهَما} وللعلماء في قراءة الإفراد أقوال:

أحدها: أن الضمير في {يُنفِقُونَهَا} عائد إلى أحدهما فقط، وهو أقرب مذكور، وهو"الفضة"قال الفرّاء:"... وإن شئت اكتفيت بذكر أحدهما من صاحبه كما قال: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا}[2] فجعله للتجارة، وقوله: {وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا}[3] فجعله . والله أعلم . للإثم وقال الشاعر في مثل ذلك:

نحن بما عندنا وأنت بما * عند راض والرأي مختلف [4]

ولم يقل راضون، وقال الفرزدق:

إني ضمني لمن أتاني ما جنى * وأبي وكان وكنت غير غدور[5]

ولم يقل غدورين، وذلك لاتفاق المعنى يكتفى بذكر الواحد.

---

[1] . سورة التوبة الآية 34

[2] سورة الجمعة الآية 11

[3] سورة النساء الآية 112

[4] نسبه بعضهم إلى عمرو بن امرئ القيس، ونسبه محمد محي الدين عبد الحميد على قيس بن الحطيم، شرح ابن عقيل ج1، ص 228

[5] أبو زكريا يحي بن زياد الفرّاء، معاني القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط1، بيروت: 2002 م دار الكتب العلمية، ج1 ص 292

ويرى ابن خالويه أن هذا مما رد آخره على أوله وأن مثل هذا أجرته العرب على عدة وجوه: منها أن الرد إلى أقرب مذكور دون غيره فقال:"وكل ما في كتاب الله مما قد ردَّ آخره إلى أوله يجري على وجوه: أولها أنه يردُّ على أقرب اللفظين كقوله:{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا} [1]

ثانيها: وحد الضمير حملا على المعنى لا على اللفظ وذلك أن الذهب والفضة مثنى في لفظهما مفردان في المعنى إذ هما بمعنى واحد هو"الكنوز"أو"الأموال"وما كان كذلك يكتفي بذكر أحدهما عن الآخر: قال الفرّاء:"ولم يقل: ينفقونهما، فإن شئت وجهت الذهب والفضة إلى الكنوز فكان توحيدمن ذلك [2] وإلى هذا ذهب الزمخشري أيضا فقال:"فإن قلت: لم قيل:"ولا ينفقونها"وقد ذُكر شيئان؟ قلت: ذهابا بالضميرإلى المعنى دون اللفظ، لأن كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا} [3] وقيل ذهب به إلى الكنوز وقيل: إلى الأموال..."[4]

ثالثها: اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر تخفيفا واتكالا على فهم السامع بأن الثاني داخل في حكم الأول: قال أبو عبيدة:"صار الخبر عن أحدهما ولم يقل "ولا ينقونهما" والعرب تفعل ذلك إذا أشركوا بين اثنين قصّروا فخبَّروا عن أحدهما استغناءا بذلك وتخفيفا لمعرفة السامع بأن الآخر قد شاركه ودخل معه في ذلك الخبر، قال ضابئ البرجمي:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله * فإني وقيَّار بها لغريب

---

[1] ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص 114 ـ 115

[2] الفرّاء، معني القرآن، ج1 ص 292

[3] سورة الحجرات الآية 9

[4] جار الله بن بحر، الزمخشري، الكشاف ج2 ص 191

... وقال حسَّان ابن ثابت:

إن شرخ الشباب والشعر * الأسود ما لم يعاصِ كان جنونا

ولم يقل يعاصيا، وقال جرير:

ما كان حينك والشفاء لينتهي ** حتى أزورك في مغار محصد

لم يقل لينتهيا [1]

رابعها: قيل أن الهاء عائد على الفضة وحدها، وفي الكلام محذوف تقديره"ولا ينفقونها والذهب"قال الزمخشري:"وقيل معناه"ولا ينفقونها والذهب"كما أن معنى قوله: فإني وقيار بها لغريب: وقيَّار كذلك [2]

قال تعالى: {لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رءوف رَّحِيمٌ} [3]

اللطيفة في قوله: {كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ} حيث ذكر الفعل"كاد"مع الفاعل المؤنث"قلوب"وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقال:"كادت تزيغ قلوب"لأنها جمع، ثم أن في الآية إشكالا آخر وهو الجمع بين فعلين، وهو الذي يسميه النحاة"توالي فعلين"وهو غير جائز عندهم إذا لم يستوف الأول منهما معموله، قال ابن زنجلة "لأن كاد فعل ويزيغ فعل، والفعل لا يلي الفعل [4]

---

[1] أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سيزكين ط2، بيروت 1981مؤسسة الرسالة ج1 ص 116

[2] الزمخشري، الكشاف، ج2 ص 191

[3] سورة التوبة الآية 117

[4] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص325 ـ 326

وقد اختلف العلماء في عامل الرفع في"قلوب"أهو فعل المقاربة "كاد" فتكون قلوب فاعلا لكاد، أم عامله هو الفعل "تزيغ" فتكون "قلوب" فاعلا لتزيغ، ذلك أن هذه المسألة من مسائل التنازع، حيث يتقدم عاملان، ويتأخر عنهما معمول واحد مطلوب منهما معمولا، وفي أيها أحق به خلاف بين البصريين والكوفيين كالآتي:

الرأي الأول: قلوب مرفوع كاد: ذهب فريق من النحاة إلى أن"قلوب"هي فاعل ل"كاد"لأنه العامل المذكور أولا، أما فاعل"تزيغ"فمضمر وعلى هذا الرأي وجهت الآية بوجوه متعددة أشهرها أن القلوب مرفوعة بكاد أما الفعل الثاني"تزيغ"فهو على نية التأخير فيكون تقدير الكلام: كاد قلوب فريق منهم تزيغ، قال سيبويه: "هذا باب الإضمار في ليس... ومثله: "كاد تزيغ قلوب فريق منهم" وجاز هذا التفسير لأن معناه كادت قلوب فريق منهم تزيغ [1]

وعلى هذا الرأي يُطرح إشكال آخر هو تذكير الفعل"كاد"مع فاعله المؤنث"القلوب"وللعلماء في توجيه ذلك أقوال:

الأول ذكر الفعل كاد للفصل بينه وبين فاعله وبعده عنه، واكتفاءً بتأنيث "تزيغ" : أي أن الفعلين هنا يجوز تذكيرها وتأنيثها، فلما أنّث الذي يلي الاسم وهو"تزيغ"، اكتفى به عن تأنيث الأول، وهو كاد، وهذا قول الفرّاء، قال ابن زنجلة: "فإن قيل لمَ أنَّث تزيغ ولم تأنث كاد وهما فعلان؟ الجواب: قال الفرَّاء: كاد فعل، وتزيغ فعل، فلك أن تذكرهما جميعا ولك أن تأنثهما جميعا، فلما

[1] سيبويه، الكتاب، ج1 ص 69 فما بعدها

كان لك الوجهان ذكرت الأول ؛ لأن بعده فعلا آخر ملتزما بالقلوب، فذكرت الأول، لأن تباعد من القلوب، وأنّث الذي بجنب القلوب"[1]

الثاني: جاز تذكير الفعل مع الفاعل المؤنث لأن الفاعل جمع تكسير، وكل فعل لجمع مذكر أو مؤنث تقدم جاز فيه التذكير والتأنيث فهو من الحالات التي يجوز فيها تأنيث تذكير وتأنيث الفعل مع فاعله، قال الفرّاء"ومن قال (تزيغ) جعل فعل القلوب مؤنثا ؛ كما قال: {نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا} [2] وهو وجه الكلام، ولم يقل"يطمئن"وكل فعل كان لجمع مذكر أو مؤنث فإن شئت أنثت فعله إذا قدمته، وإن شئت ذكرته [3] وقد وضّح ابن زنجلة المسألة أكثر فقال:"اعلم أن فعل جماعة يتقدم لمذكر أو مؤنث إن شئت أنّثت فعله إذا قدمته وإن شئت ذكرته كما قال جلَّ وعزَّ {لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا} [4] و{يحل لك النساء} فإذا أنثت أردت جماعة، وإذا ذكرت أردت جمعا [5]

الثالث: قيل إنما ذكر"كاد"لأنه فعل ناقص التصرف لا يحتاج إلى فاعل غالبا قال ابن زنجلة:""وقال آخرون: كاد ليس بفعل متصرف ولا يكادون يقولون منه فاعلا ولا مفعولا به فذكرته وأنثت"تزيغ"لأنه فعل مستقبل متصرف [6]

المحور الخامس: المستوى البياني

---

[1] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص325 ـ 326

[2] سورة المائدة، الآية 113

[3] الفرّاء، معني القرآن، ج1 ص 305

[4] سورة الحج الآية 37

[5] ابن زنجلة، حجة القراءات، ص325 ـ 326

[6] نفسه

اعتنى العلماء في كل عصر بإظهار البيان القرآني، وكان لعصرنا نصيب وافر من ذلك بما تراكم لديهم من تراث سبقه، ويبقى القرآن بعد ذلك أوسع وأشمل من أن يحاط به في عصر من العصور، وفيما يلي نمازج لبلاغة القرآن الكريم.

1 . قال الله تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}[1]وهذه استعارة؛ إذ جُعِل ما أنزل الله تعالى كالنور الذي ظن الكافرون أن في مقدورهم إطفاءَهُ، والمراد بأفواههم، التي هي جمع"فوه"؛ أي: الفم، ما يصدر عنها من الكلام والدعاية والافتئات على الدين، وغير ذلك مما كانوا يَبُثُّونه لصرف الناس عن سبيل الله، ولكن الآية الكريمة بشَّرَت المؤمنين بنصر عقيدتهم، وأغاظت الكافرين بأنهم لا يقدرون أن يحجبوا الشعاع الساطع للإسلام مهما فعلوا، فهم أهون من أن يحجبوا نور الحق[2].

2 . قال تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[3]

أسند الإخراج إلى الكافرين، وهم لم يُخرجوه، ولكن حينما هَمُّوا به أَلْجَؤوه إلى أن يخرج بنفسه، فكأنهم أخرجوه، فنسب الفعل إليهم، ورتَّب الحكم

---

[1] سورة التوبة: الآية 32

[2] عباس توفيق، تأملات في آيات من القرآن الكريم.. سورة التوبة، مقال منشور، شبكة الألوكة، رابط http://www.alukah.net/sharia/0/64973/ تاريخ المشاهدة 3/ 2 / 2017

[3] سورة التوبة: الآية 40

فيه عليهم؛) [1]و{ثَانِيَ اثْنَيْنِ} ؛ أي: أحدَ اثنين، وهذه الآية تخاطب المؤمنين أنهم إن لم ينصروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن الله تعالى سينصره كما نصره من قبلُ يومَ كان في حسابات الناس في أضعف حالة؛ إذ لم يكن معه غيرُ صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وحسابات الناس هذه هي التي كانت وراء جَزَعِ أبي بكر؛ مخافةَ أن يتعرض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى أذًى، فقال: لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصر بهما، أما النبي عليه الصلاة والسلام، فقد كان مطمئن القلب، وعالِمًا أن الله تعالى ناصرُهُ، ولهذا قال: {ما ظنُّكَ باثنيْنِ اللهُ ثالثُهُما؟} [2]

3 ـ قال تعالى:{وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} [3]

قوله {تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ} أبلغ من: يفيض دمعها؛ لأن العين جُعلت كأنها كلها دمعٌ فائض[4]فهي تخرج من محجرها؛ لأنها صارت جزءًا من الدمع، بينما"يفيض دمعها"تُبقي العين في موضعها، وتجعل الدمع شيئا خارجًا من العين.

4 ـ قال تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [5]

---

[1]الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ج8 ص 135، انظر الكشاف، ج2 ص 263

[2]صحيح البخاري حديث رقم 4663، صحيح مسلم حديث رقم 2381

[3] سورة التوب: الآية 92

[4] الزمخشري: الكشاف، ج2 ص 291

[5]سورة التوبة : الآية 104

وورود"هُوَ"للتأكيد، وتخصيص الله سبحانه وتعالى بقبول التوبة، وأخْذِ الصدقات إن كانت صادرة عن صدق نية وإخلاص، ومدار التخصيص أنْ ليس لغيره سبحانه شيء من ذلك نبيًّا كان أو ملَكًا[1]

و{أَلَمْ يَعْلَمُوا}؛ أي: المتخلفون الذين لم يتوبوا، ثم أُعلِموا بتوبة الله تعالى بجملتين توكيديتين :{أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ} و{وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ}، والخبر في أولاهما جملة فعلية، وفي الثانية جملة اسمية، وفي هذا إشعار للناس بأن الله تعالى متصف بصفة التوبة والرحمة على وجه الدوام والثبوت من جهة، وعلى وجه التجديد والتكرير من جهة أخرى على عباده المقبلين عليه صادقين، وديمومة الصفة محكية في الجملة الخبرية الاسمية، وتجديدها مكنون في الجملة الخبرية الفعلية، ومع أن من حق ثبات الصفة ودوامها أن يكون متقدمًا في الآية فإن الجزء الدال على التجديد هو الذي تقدَّم، ومرَدُّ ذلك إلى أن في الآية استفهامًا للمتخلفين إن كانوا لا يعلمون أنهم لو أقبلوا على الله تعالى بالتوبة فإنه يتوب عليهم؛ أي: إذا تابوا تاب الله عليهم، جريًا على قوله تعالى في سورة الرعد {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}[2]ولو تقدمت الجملة الاسمية"وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"لكان معناه أن الله تعالى يتوب على عباده ويرحمهم سواء تابوا هم، أم لم يتوبوا، بينما توبة الله تعالى ورحمته منوطتان بتوجُّه العبد، وصدق نيته، وإخلاص أَوْبَتِه.

5 . قال تعالى: {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} [3]

---

[1]الزمخشري: الكشاف 2ج، ص 297، انظر تفسير القرطبي 8ج ص، 232

[2]سورة الرعد: الآية 11

[3] سورة التوبة: الآية 108

و{فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا}؛ أي يغتسلوا، وقد سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأنصارَ في قباء عما كانوا يعملون فاستوجبوا ثناء الله تعالى عليهم، فقالوا إنهم يستجمرون ويغتسلون؛) [1]و{الْمُطَّهِّرِينَ}؛ أي: المتطهرين، قُلبت تاؤه طاءً، وأُدغمت في الطاء الثانية، وقد يكون المطَّهّرُ أبلغَ من المتطهر، ذلك أن المتطهر يعني المتنَظِّف من النجاسات المادية، وأما المطَّهّر، فهو المتنظف من النجاسات المادية والمعنوية معًا، ولهذا فإن الآية التالية {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ}[2]وهو استفهام بمعنى التقرير– متعلقةٌ بهذا التطهير المعنوي الذي يصل بين الآيات.

والصلة بين لفظَي"المتطهرين"و{الْمُطَّهِّرِينَ} هي أن المغتسلين إنما يتحَرَّوْن التنظيف والتنزه عن النجاسات وصولاً إلى عبادة كاملة، لا نقْصَ في أركانها وشروطها، بمعنى أن التطَهُّر المادي الذي كان يقوم به الأنصار، كان من أجْلِ الطُهْر المعنوي، ولهذا أثنى الباري عز وجل عليهم، وجعلهم أهلاً لمحبته.

الخاتمة:

[1] تفسير ابن كثير ج2 ص: 336–337

[2] سورة التوبة: الآية: 109

لم ينل كتاب دراسات مثلما نال القرآن الكريم،فبالرغم من استبحار ووفرة الدراسات القرآنية إلا أنه لا يزال يستنهض الباحثين لمزيد من البحث في آفاقه الممتدة التي لا تتوقف عند نهاية كل باحث . حسبما يتيسر له من أدوات بحثه . يكشف له الله جانباً من أسرار الكتاب ومع ذلك لا تنفذ الأسرار.

في خاتمة هذا البحث نسأل الله تعالى الذي وفقنا وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه تعالى، هذا وقد توصلنا إلى نتائج وتوصيات كما يلي:

أولا النتائج:

1- نصب الفاعل لاختصاص المدح أو الذم، فالفاعل مرفوع في كتب النحو للمبتدئين, ولا يوجد بها أن الفاعل يتم نصبه لاختصاص المدح أو الذم ولم يعلموا أن هذه قاعدة معروفة, بوب له سيبويه باسم: باب ما ينتصب على التعظيم والمدح.

2- جمع المثنى موجود في لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم , حيث كان العرب يستثقلون اجتماع تثنيتين في جملة واحدة , فيعدلون عن التثنية بالجمع.

3- بعض الظواهر الصوتية لها دور في تحديد دلالة الأصوات والكلمات في الجمل والآيات القرآنية في هذه الدراسة.

4- إن القرآن الكريم بقراءاته الصحيحة . ولو سميت مشكل . هو الحاكم على اللغة والنحو وقواعدها، ولا يجوز بحال من الأحوال قلب الحقائق فتجعل القواعد النحوية المبنية على الاستقراء الناقص لكلام العرب حاكمة على القرآن الكريم وقراءاته بعد أن ثبت أنه فاق الشواهد الشعرية صحة وفصاحة.

ثانيا التوصيات:

1. التأمل في دقائق معاني الآيات في كتاب الله والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة باللطائف اللغوية في ضوء أصول التفسير ووجوه الدلالة اللغوية.
2. إعداد باحثين لدراسة المسائل اللغوية في ضوء ما ثبت في القرآن والسنة

ثبت المصادر والمراجع

1. أساس البلاغة (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله) بيروت، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون الطبعة الأولى 1996 الزمخشري.

2. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين الشنقيطي، مجمع الفقه الإسلامي بجدةج4.
3تفسير القرآن العظيم (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي700 –774 هـ، تحقيق، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ط 2 ، 1420هـ – 1999 م.
4. إعجاز القرآن، أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني. تحقيق :السيد أحمد صقر. دار المعارف،ط1.
5. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ط9 ، 1393هـ - 1973م
6. الإتقان في علوم القرآن، للأمام السيوطي، دار النشر: دار الفكر – لبنان – 1416هـ– 1996م الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المندوب ج2.
7. إعراب القرآن، أبو القاسم الزجاج – تحقيق إبراهيم الأبياري.1964
8. دلالات التراكيب، دراسة بلاغية محمد أبو موسى، مكتبة وهبة ، مصر، القاهرة الطبعة الثانية 1408 . 1987.
9. جامع البيان في تأويل القرآن، ج 2، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (الطبري) [224 – 310 هـ] تحقيق أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000م.
10 . خصائص التراكيب ، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط 4 ، 1416هـ . 1996م
11. الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم: د. دفه بلقاسم، بحث منشور بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر، بسكرة عام 2009
12. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، محمد عكاشة ، دار النشر للجامعات، ط 2005.
13. التفسير الميسر د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون ج 1، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

14الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1405هـ - 1985
15. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني،تحقيق محمد النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، المطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ج1.
16 القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية للطباعة.
17. المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ط2، مكتبة الشروق الدولية، 2004م.
18. الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم د. عبد الله أبو السعود بدر مجلة الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المجلة، العدد السابع.
19. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري،تحقيق نخبة من مؤسسة النشر الاسلاميج1،طع1، 2000م
20. فتح القدير، الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة دار النشر: دار الفكر – بيروت
21. الكتاب، سيبويه (أبو بشر عمر بن قنبر)، تحقيق عبد السلام هارون، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
22. اللغات في القرآن، ابن حسنون، تحقيق: د. توفيق محمد شاهين الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الأولى.
23. المزهر في علوم اللغة، الإمام السيوطي، ج1 تحقيق: محمد أحمد جاد المولى – محمد أبو الفضل – علي البجاوي. دار النشر: مكتبة دار التراثط3.
24. معاني القرآن: الفراء، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972
25 مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (أبى القاسم الحسين بن محمد) المحقق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، ج1
26. مقاييس اللغة، (أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين) تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر 1399هـ – 1979 م.

27. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة، فاضل السامرائي.. ملتقى اللغة العربية وعلومها والشعر العربي. سلسلة محاضرات ألقيت في قناة الحكمة العراقية: 2010م

الدوريات:

1. مجلة وزارة الثقافة والإعلام، دولة الإمارات العربية المتحدة، الإدارة الثقافية ، 1400 ـ 1401 ، 1980 ـ 1981م.

2. مجلة الهيئة العامة للإعجاز العلمي . جامعة الملك سعود، العدد السابع. 2001م

3. مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية 1433. 2011م (السودان) العدد الثالث والعشرين.

4 كوليزار كاكل عزيز، وفخرية غريب قادر، الدلالة التركيبية في سورة التوبة، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 17 ، العدد 9 عام 2010م